التاريخ الإسلامي في مخبر المقاربات المختلفة.
دراسة في منهج النقدي.

د. البشير الهاشمي مُغلي
كلية أصول الدين والشريعة..

1- النظرة الغربية إلى التاريخ:

عندما لا يؤخذ تاريخ الإنسانية بعين الإعتبار إلا إبتداء من التطور الوحيد لأوروبا ليعود إليها كذلك في النهاية، فإنه يغدو من الجلي إننا لا نملك مواراة الروح العرقية المتمركزة التي مازالت تطغى على لفيف لايستهان به من الفلاسفة والمؤرخين.ليس من ريب في أن المنهج العلمي يدين هذا الاتجاه الذي يترع إلى مثل هذا التبسيط، سيما أنه يعمد على هذا النحو إلى تجاهل تام تقريبا للساحة الزمنية التي طالما كانت مسرحا لأحداث صنعت تاريخ قارات أخرى، والتي استغرقها وأثراها بسخاء، ماضي حضارات شتى:من ذلك مثلا التاريخ الألفي للحضارة الإسلامية.في الوقت الذي طفق فيه العالم المسيحي يخرج بعناء من الجمود الفكري الذي خيم عليه طوال العصور الوسطى حيث ما أنفك يلازمه

الشعور بمعضلات كبرى في التعبير عن فكره بمعزل عن العلوم الإسلامية أتي قيض لها في ما بعد أن تنجده تمهيدا لنهضته الخاصة.

وعن هذه الرؤية القاصرة يقول محمد أسد: "لقد مال المفكرون والمؤرخون الأوروبيون منذ عهد اليونان والرومان إلى أن يتبصروا بتاريخ العلم من وجهة نظر التاريخ الأوروبي والتجارب الثقافية الغربية وحدها.

"أما المدنيات غير الغربية فلا يعرف لها إلا من حيث إن لوجودها، أو لحركات خاصة فيها، تأثيرا مباشرا في مصائر الإنسان الغربي، وهكذا فإن تاريخ العالم ثقافاته العديدة، لا يعدو أن يكون في أعين الغربيين، تاريخا موسعا للغرب.

"وطبيعي أن النظر من هذه الزاوية الضيقة لابد أن يوقع العين على مشهد مشوه غير سليم"[1].

2- التفسير المادي:

يقوم التفسير المادي على أساس من التطبيق العام للقوانين البيولوجية على التاريخ وعلى المجتمعات الإنسانية بدون استثناء. وتجدر الإشارة هنا إلى النظرية الداروينية.وإذا كان داروين قد اكتشف قانون التطور في نطاق الطبيعة العضوية، فإن ماركس ما عتم أن عثر عليه بدوره في مجال تاريخ البشرية.وانطلاقا من هذه الفرضية، ما على الإنسان، حسب انجلز، إلا أن يأكل ويشرب ويسكن ويلبس أولا، وقبل أن يتساءل عن السياسة والدين والعلم أوالفن[2]. وبعبارة أخرى، عليه في البداية أن يعيش ثم له، بعد ذلك أن يفكر. ولكن الذي نخشاه، أن نكون هنا بصدد تفسير متعجل.وبالعقل فبالنسبة إلى أنجلز، إذا لم يكن الإنسان في وضع يقدم له الضمانات الإجتماعية اللازمة ويؤمن له الحد الأدنى من المعيشة، فإنه

بالتأكيد سوف لا يستطيع بطبيعة الحال أن يميل إلى تفكير آخر.ولهـذا السبب بعينه، ليس هناك من وجود حقيقي إلا للأشياء المحسوسة الملموسة.

وإن حواسنا ومشاعرنا ليست في التحليل الأخير إلا ضربا من الطاقة التابعة للمادة.وعليه، فإنه يتعين أن نقصي عن الدابة البشرية كل لجوء إلى الميتافيزيقيا وكل ارتماء بين أحضان الروحانية مما لا يتحقق في واقع الأرض.كذلك الأمر بالنسبة إلى دور الأفكار الأخلاقية أو ما يتعلق بالضمير. إذ أن المثل العليا لا تعبر إلا عن الأوهام التي تغذي أحلام الجياع والمحرومين. إن هؤلاء بإعتبار حالتهم الاجتماعية الناجمة عن الظروف الاقتصادية السيئة ليمثلون إنتاجا مضرا بالمجتمع[3].

ولا تفرد الأولوية إلا للجماعة، ذلك أنها هي التي تمثل الواقع.أما الوجود المستقل للأفراد فإنه ليس إلا محض توهم.ومن ناحية أخرى فإن أسلوب الإنتاج في ظل الحياة المادية هو الذي يحدد الإتجاه العام للحياة الاجتماعية والسياسية والروحية بما أنه ليس غير وسائل الإنتاج من مقرر نهائي. فهي الحكم الحقيقي الذي يتحمل المسؤولية ويقرر مصير الناس.

صحيح إننا خاضعون والى حد عين إلى نوع من التأثير والتفاعل مع الوسط المادي الذي يحيط بنا. ولكنه صحيح أيضا إننا بإرادتنا وفكرنا، نحن أولاء، الذين نجري التغيير دوما في هذا الوسط بحيث نجعله أكثر تكيفا وملاءمة مع مختلف حاجاتنا. والتجربة شاهد على ذلك، والآية الكريمة التالية صريحة في تأكيد هذا المعنى.: "إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت"[4] وقوله تعالى: "وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين"[5].

إلى جانب ما يؤكده التاريخ ويثبته الإسلام على الخصوص بمدرك التسخير مما جاء ذكره في قوله تعالى: "ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره"[6]. وقوله:"يا جبال أوبي معه والطير، وألنا له الحديد"[7]، وقوله تعالى: "وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر"[8].

وذلك أن الإنسان كان يرفض دائما النقيض الذي تسوقه الفرضية المادية التي تتعارض على هذا النحو،أيما تعارض مع أية فكرة للتقدم الحقيقي.وهي هذا السياق لا يبقى للحتمية الاقتصادية أي مبرر، بيد أنه في النظرية المادية الاقتصادية حيث لا يتعلق الأمر بالحوادث بل بالتفسير السوسيولوجي أي بتاريخ المجتمعات، نرى أن تحليل حركة التاريخ واتجاهها لا يخضعان إلا لمعايير مادية بحتة.ولا يمكن الخطأ حينئذ في التعميم بالعامل الواحد فقط، بل أيضا في التنبؤ بالنسبة إلى المستقبل. ومن ناحية أخرى ليس صحيحا أن كل تحليل لا يأخذ بعين الاعتبار العامل الاقتصادي كعنصر محرك في ميسرة التاريخ، هو تحلل مفرط، وبالتالي فإنه يعجز عن أن يدرك أن المساواة الاقتصادية وأنها لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال الصراع الضروري والحتمي للطبقات.

لكن إلا نرى أن هذا التفسير الذي قلما يحول عليه عموما، يعصف به تاريخ الإسلام الذي تتعارض مبادئه مع المفهومات المادية والتي تعتبر غريبة عليه، وإلا فما الذي دفع المسلمين إلى تجاوز الأراضي الخصبة في فتوحهم، والتوغل في صحاري شاسعة وجبال رهيبة كانت قبورهم تنتظرهم فيها؟ ما الذي مكنهم—وهم الأقل غالبا عدة وعددا- من الانتصار على أعدائهم الذين كانوا يفوقونهم في مقاييس المادة والقوة المنظورة؟ ما الذي دفع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني إلى أن

يرفض منح اليهود أرضا في فلسطين لقاء تسليف دولته المتعبة قرضا ضخما والتبرع ببناء أسطول بحري لها وتسديد ديونها؟ (.....) وعشرات غيرها من المواقف التاريخية الحاسمة، بل مئات، يمكن أن يقدمها لنا سجل التاريخ البشري الحافل..... والتي لن يفسرها أبدا المنطق المادي في عمومه. لأن هناك من وراء المادة وفي تكوين كل واحد منا ذلك المزيج المعقد المتشابك والنسيج الفذ المركب من قوى العقل والروح والعاطفة والوجدان والغرائز والأعصاب والدوافع والشهوات، والذي عجز العلم التجريبي حتى الآن –على تقدمه الهائل في ميادين الطبيعة والرياضة– أن يكشف عن واحد بالمائة من بواطن هذا الكائن المتفرد (المجهول)، كما يقول الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل في الطب والجراحة...[9].

3- المذهب التاريخي والتاريخانية:

تعرف التاريخانية حسب أ.توران، بكونها القدرة التي يملكها كل مجتمع "على إنتاج حقله الاجتماعي والقاني الخاص، ومحيطه التاريخي الخاص"[10]. وإنه لمن الأهمية بمكان أن نلاحظ في هذا التعريف المهم النقطة المنهجية التالية: بدلا من أن نضع مجتمعا ما في التاريخ، يتعين أن نضع التاريخانية في صميم المجتمع كمبدأ تنظيمي لحقل العلاقة والتطبيق[11].وبهذا سوف نتمكن من تفادي التناقض بين البنية والتاريخ والقيام بوصل التحليل الاجتماعي بالأفق التاريخي[12]. وإذا كانت التاريخانية تفيد البقاء على صعيد التساؤل فإن المذهب التاريخي يغذي الوهم باتجاه موجه وبمعنى معين للتاريخ[13].

إن المذهب التاريخي يقر بمسلمات فلسفية أو أيديولوجية لا تلبث أن تتسرب إلى مدرك التاريخانية ولو عندما يقتصر المؤرخ على عمله الخاص أي تحليل التغيير، مما أدى إلى إمكانية التمييز بين مذهب تاريخي ميتافيزيقي مقابل مذهب تاريخي وضعي (يعرف بالعلمي)،ومذهب تاريخي وطني شديد الحماس في أيديولوجيات المعاصرة، إلى جانب مذهب جمالي، وفي كل الحالات هناك محاولة لتأسيس قيم دينية وأخلاقية وسياسية بل فكرية أيضا بواسطة تحرير "التاريخ صوب اتجاه تنمية بيانية مستمرة تستلزم أما تقدما متطورا انطلاقا من مصدر"بدائي" (غير كامل) نحو هدف أرضي ينشد الكمال دائما (كالوضعية)،وأما تقدما غير متطورا انطلاقا من مصدر علوي نحو مستقبل أخروي (إشارة إلى علوم أديان التوحيد)[14].ثم إننا إذا كنا سوف ندين المذهب التاريخي باعتباره مدركا غزيرا جدا بالشحنات العرقية، فذلك لأننا نعتقد أنه إذا استعمل لغرض سيء وبالأخص إذا استهدف غاية مغرضة يمكن بتعاطف واسع مع الاستعمار أن يكون له بمثابة رأس الحربة بل بالإمكان أيضا أن يضفي الشرعية على الإمبريالية المعاصرة[15].

4- المستشرقون والتاريخ:

اتجه اهتمام المستشرقين بدراسة التاريخ الإسلامي لإدراكهم مدى الأهمية التي يكتسبها التاريخ في بناء الأمم وتربية الأفراد، فانصب حرصهم "على فساد هذه الغاية،وذلك ببعث الجوانب المضطربة والروايات وصور التناقض الخصومة... ولا ريب أن الهدف من بعث دعوات الفرعونية والفينيقية والآشورية إنما يستهدف تمزيق وحدة المسلمين والنقص من شأن الإسلام"[16].والأمثلة على ذلك غير قليلة، منها ما يكتبه بروكلمان في انتقاص الحركات الإسلامية القويمة والمذاهب

السليمة مقابل الإعلاء من شأن القرامطة والشعوبية والباطنية والزنج[17]. ولكنه لا يشير إلى دور اليهود في تأليب الأحزاب على المدينة، ولا إلى نقض بني قريضة عهدهم مع الرسول صلى الله عليه واله وسلم في أشد ساعات محنته[18]. ومنها ما يدونه روزنتال الذي يصور التاريخ الإسلامي على أنه سلسلة متصلة مع الحكام الطغاة، وأن التاريخ الحضاري للإسلام كان تكرارا مسجلا للأفكار، وأن التاريخ الديني كان بقايا متحجرة مجمدة تناقلتها الأجيال بعضها عن بعض[19].

ومنها ما يصور السلطان عبد الحميد على أنه كان رجلا مستبدا ظالما، وأنه كان يلقى خصومه بالعشرات في الدردنيل، وكانت له قوى ضخمة تشتغل بالجاسوسية وتصادر الحريات.وأن الدولة العثمانية كانت دولة مستعمرة سيطرت على البلاد العربية بالقوة وجنت إليها ثمراتها وتركت تلك البلاد فقيرة ضعيفة.وأن الاتحاديين في الدولة العثمانية كانوا قوة تقدميه عصرية بينما القوى الأخرى قوى رجعية متخلفة. وأن دعوة السلطان عبد الحميد إلى الوحدة الإسلامية كان قد تجاوزها الزمن وفات أوانها، وأن الدعوات القومية كانت هي أسلوب العصر[20].

ويصر بعض المستشرقين على المغالطات التاريخية في الزعم بالخلاف بين العرب والأتراك، ووصف العلاقة بينهم بأنها استعمارية. والواقع غير ذلك، إذ أن الخلاف كان مع الطورانيين و لم يكن مع الترك، وأن العرب بل المسلمين، قد رحبوا بالوحدة الإسلامية العثمانية.وقد أكد الباحثون أن هذا اللقاء بين العرب والأتراك قد حمى العالم الإسلامي أكثر من أربعمائة عام من الغزو الصليبي للمرة التالية(...)ويشهد المؤرخون غير المتعصبين على الإسلام أوغير الناقمين على الدولة العثمانية بأن العثمانيين قد اقتفوا أثر الخلفاء الأولين في العدل والتسامح، وتمثلوا

أعمالهم واتخذوهم قدوة وعملوا على جمع القلوب إليهم بتقدير العلماء وإنشاء المساجد والمدارس...[21].

5- الغزو الصليبي للتاريخ الإسلامي:

لم يسلم التاريخ الإسلامي من غزو الصليبية الغربية، فقد تعاون المستشرقون والمستغربون معا على تشويهه، ومن ابرز المحاور التشويهية:

أ- تركيزهم على فترات الخلاف بين المسلمين دون غيرها من الفترات الكبيرة المتألقة.

ب- زعمهم أن فترة الالتزام بالإسلام مقصورة على العصر الراشد.

ج- إثارتهم للعنصريات وتعميقها بين العرب والبربر والأتراك والفرس إضعافا لروح الإخاء الإسلامي.

د- إبرازهم دور الأقليات غير السليمة وتحريكها ضد الأمة.

ي- حقدهم على كل من وقف في وجه الزحف الصليبي مثل المماليك والأيوبيين والعثمانيين بالأخص.

هـ- تمجيدهم لمن خان الإسلام وحاربه، مثل كمال أتاتورك في تركيا، وأكبر شاه في الهند وغيرهما، وعلى النقيض من ذلك ينتقصون من قدر المجاهدين والمصلحين، ويلفقون لهم التهم.

و- تشكيكهم في التراث الحضاري الإسلامي بدعوى أنه منقول ومترجم عن الحضارة الهلينية.....[22].

6- توظيف الأحقاد التاريخية:

ما أنفك اليهود يوظفون الأحقاد الكامنة في لا شعور الغربيين على الإسلام والمسلمين تحقيقا لأغراضهم ومخططاتهم، سيما أنهم يدركون أن خيال الحروب الصليبية لا يزال يرفرف فوق الغرب إلى يومنا هذا، بصورة أو أخرى[23].ويشير محمد أسد إلى هذا الشبح الذي مازال يختم على نفسية الغرب فيقول: "أما فيما يتعلق بالإسلام فإن الاحتقار التقليدي أخذ يتسلل في شكل تحزب غير معقول إلى بحوثهم العلمية،وبقى هذا الخليج الذي حفره التاريخ بين أوروبا والعالم الإسلامي غير معقود فوقه بجسر،ثم أصبح احتقار الإسلام جزءا أساسيا من التفكير الأوروبي،والواقع أن المستشرقين الأولين في الأعصر الحديثة كانوا مبشرين نصارى يعملون في البلاد الإسلامية،وكانت الصورة المشوهة التي اصطنعوها من تعاليم الإسلام وتاريخه مدبرة على أساس يضمن التأثير في موقف الأوروبيين من "الوثنيين".غير أن هذا الالتواء العقلي قد استمر مع أن علوم الاستشراق تحررت من نفوذ التبشير،و لم يبق لعلوم الاستشراق هذه عذر من حمية دينية جاهلية تسئ توجيهها.

أما تحتمل المستشرقين على الإسلام فغريزة موروثة وخاصة طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلقتها الحروب الصليبية بكل ما لها من ذيول في عقول الأوروبيين[24].

7- المنهج المنحرف في دراسة التاريخ الإسلامي:

ينحرف المنهج عندما يزيغ عن الموضوعية ويحيد عن الواقعية ويستبد به انقياد متعسف إلى أعراض غير علمية.ومن الأخطاء الجسيمة التي يرتكبها حشد من المستشرقين –عن وعي أحيانا كثيرة– في دراستهم للتاريخ الإسلامي نذكر ما يلي:

أ- النظرة المبتسرة: تلك التي تركز على الجانب المادي في الحياة، وتستهين بالجانب الروحي والأخلاقي فيها، وتفسير كل أحداث التاريخ الإسلامي وغيره بالعامل الواحد: "الاقتصادي". وإذا انتبه بعضهم إلى عناصر أخرى في التفسير المتكامل باعتبار ضرورة علمية تستلزمها الحقائق نفسها، وإلا كانت منقوصة والمخرم فهمها وذهبت العبرة منها، فإنه يتعرض إلى الإدانة لخروجه على "العرف المنهجي" الغربي الرسمي، كما أدين "شبنجلر" و"توينبي" لاعتمادهما نزعة غيبية في تفسير التاريخ. وأني لبحوث غربية أن تدرك السر في تبرع أبي بكر بكل ماله؟ أو تقف على البواعث الحقيقية التي حملت صهيبا على التضحية بثروته وتركها لأهل مكة؟ أو أن تستسيغ الحكمة من قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "ربح البيع"[25].

وكيف يمكن للمنهج الغربي إلا ينحرف، وهو مشدود إلى فكرة سليطة تتخلص في البحث عن الطعام دوما، فيفسر في نطاقها الضيق كافة الفتوحات الإسلامية بل وظهور الإسلام وحركته الحضارية الواسعة، بعوامل اقتصادية؟

ب- الإقليمية المركزة: وهي زاوية نظر غربية إقليمية تنظر من خلالها مناهج الغرب إلى التاريخ الإسلامي، بل وإلى تاريخ العالم اجمع، على أنه فرع مرتبط بالأصل الذي هو أوروبا، مركز العالم، في زعمهم، الذي "تدور حول قطبه كل المساحات الأخرى في الأرض وما عليها من دول وشعوب وحضارات، حيث تغدو في معظم الأحيان أشبه بالظلال الباهتة لهيكل التاريخ الأوروبي العالمي الذي يتميز بالكثافة والامتلاء والإشعاع"[26].

ج- حصر المصادر فيهم:وإذا كان المستشرقون في اغلبهم لا يعترفون بالمؤرخين المسلمين، فقد درجوا على اللجوء إلى كتابات من سبقوهم من زملائهم وكأنها "المصادر الأصلية"، معتمدين على التوجيه الكنسي الذي يستوحون منه أفكارا مسبقة يتصيدون الأدلة لإثباتها من واقع التاريخ في غيرما اكتراث لصحتها[27].

د- الانتقاء الكيفي:أو التفسير الاختياري للنصوص التاريخية وانتقاء الروايات والشواهد والوقائع التي توافق هواهم وتؤيد مزاعمهم منتحلين لها مختلف الإحالات والمؤيدات الوهمية التي يستلهمونها من اختراعاتهم وتلفيقاتهم.

ي- المنطق الوصفي العلماني:ومن مظاهر المنهج المنحرف ما يعمد إليه أكثر المستشرقين من إسقاط المنطق الوصفي العلماني في غيرما سبر لأغوار المعاني ومرامي العبر من وراء الحوادث التاريخية، من جهة، والرؤية البيئية المعاصرة للمناهج الغربية على الوقائع الإسلامية الماضية[28]، من جهة أخرى.

والغالب على الظن أنه يتعذر على المستشرقين أن يتحرروا من عواطفهم وبيئتهم ومنطقهم الغربي الخاص.وأنه لذلك يبلغ تحريفهم لسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وللصحابة وغيرهم، درجة عالية في الإسفاف والغرابة، بحيث تصور لنا محمدا، صلى الله عليه وآله وسلم، كأنه يتحدث بلهجة بريطانية إذا كان المؤلف بريطانيا، وبلهجة فرنسية إذا كان الكاتب فرنسيا، وهكذا إلا أن نتصوره وفق هذه الذهنية المسكينة الزائفة عربيا يخاطب العرب آنذاك[29].

هـ- الخلفيات المتحكمة: حركة الاستعمار القديم للعالم الإسلامي المتعب أوجها"[30]. لا جرم أن القيود التكبيلية ذات الطابع الإيديولوجي تحد من عملية

المناهج الغربية التي "عندما تدرس تاريخنا بالذات تتحكم فيها عصبيات شتى ورواسب نفسية ومخلفات دينية ومذهبية وإيديولوجية وعرقية، لكونها نشأت وتبلورت في القرن الذي بلغت فيه

التصور الإسلامي للتاريخ:

من أجل تفادي كل التباس من نحو فلسفي بين التصور الإسلامي للتاريخ وبين تصور التاريخ الإسلامي، سواء كان منظورا إليه في التحليل من وجهة نظر إسلامي أم لا، فإننا نبين من الآن أن المنهج الذي نترسمه ههنا هو الأول، على حين أن الاتجاه الأخر يعبر عن وجهة نظر المستشرق أو المنهج الغربي بوجه عام. وتأسيسا على ما ذكرنا فإن التاريخ الإسلامي إنما هو تاريخ تطبيق الشريعة ما دام هناك التزام فعلي بتوخيها في الواقع، فهو إذن الشكل الذي تجسد فيه الإسلام في الواقع، وكل خروج على الشريعة يعد انحرافا عنه، وفي نفس الوقت سببا له[31].

إن الإستراتيجية الإخفائية سوف تلح على الجانب الحوادثي EVENEMENTIEL وتعاقب الممالك والظواهر الاجتماعية والسياسية. وهذا وحده كفيل بأن يوقع في خطإ كبير مألوف يحجب رؤية الجانب الجوهري الأخر وهو جانب تاريخ عقيدة شاملة ذات خصائص ومميزات ومقومات خاصة[32]. بيد أنه يجب أن نلاحظ أن الموازنة مع أية مقارنة أخرى سوف لا تكون فقط محدودة على صعيد الفكر والثقافة، ولكنها سوف تجري بصورة أدق من القاعدة على مستوى التصور العام الأولي نفسه، سواء اقتادته أيديولوجية أم فلسفة أم عقيدة. إذن فمن خلال هذه الفكرة الجذرية للأخلاقية الإسلامية المتعلقة بالتغيير النفسي وتغيير الأوضاع الاجتماعية والسياسية ينبغي أن نحاول تفسير التاريخ الإسلامي.

ولا جرم أن المنهج سوف يكون مغايرا تماما لما درجت عليه الدراسة التاريخية للشعوب الأخرى. فالشأن بالنسبة إلى المسيحية مثلا يتعلق بتاريخ المسحيين أقل منه بتاريخ المسيحية، بمعنى أنه يتعلق على الأقصى بتاريخ الاختلافات المذهبية والعقائدية العديدة والصعوبات التي كانت الكنيسة تعاني منها في تفسير بعض المتناقضات أو تأويل مختلف الأسرار الدينية، كما أنه يتعلق أيضا بتاريخ المحاولات العسيرة للتوفيق بين المذهب الروحي المسيحي ومتطلبات الحياة المادية، بين ماهو دنيوي وماهو آخرون. إذن لم يكن الأمر متعلقا بتاريخ المسيحيين وهم يواجهون مثلا مشاكل تأسيس دولة بالرغم من أن المجابهات السياسية لم تكن قليلة في رأينا ولا كانت تستهدف إقامة سياسية مسيحية، وإنما كانت تحركها دعوى استرجاع سلطة إلهية مسلوبة اختلست من الكنيسة.ولا يحدثنا التاريخ عما كان المسيحيون يواجهونه من المشاكل المترتبة عن إقامة مؤسسات اجتماعية أو قضائية.وفي المقابل فإن الكنيسة حافلة بتاريخ الإصلاحات الداخلية.وعليه فلا ريب"أن الإسلام في إقامته للمجتمع الإسلامي على فكرة الأمة،وإن هذا المفهوم،مستمد من العقيدة الإسلامية،ولا نظير له في المجتمعات الإنسانية قبل الإسلام وبعده،وأن ديناميكية الجماعة الإسلامية هي التعاون والتضامن والتكافل والتناصر"[33].

التفسير الإسلامي للتاريخ:

1- النظرة القرآنية للتاريخ:إن حركة التاريخ الإنساني لتنبثق في المنظور القرآني من مفهومي الحق والعدل في مقابل مفهومي الباطل والظلم.أنها لتربط في انسجام ربطا دائما بين السماء والأرض حيث تتداخل عمليات الماضي والحاضر والمستقبل تداخلا مستمرا، وتتواصل هذه الأبعاد الثلاثة وتتابع بحيث تكون وحدة

زمنية خيوية ممتدة بلا حدود[34] إلى يوم الحساب. وإن اليوم الأخر وانتظار الفرج هما في النهاية أهم المعايير الرئيسية لقياس مدى الفعالية التاريخية للناس والأمم. وفي نفس الوقت يمثلان أهم المحرضات على حركة التاريخ. إلا أن التقييم لن يكون أخلاقيا فحسب أو ذاتيا، بل أيضا موضوعيا، سيما أن الإنسان سوف يلقى جزاء من خلال أعماله هو. وكذلك الأمر بالنسبة إلى المجتمعات التي من مجموعها يتكون التاريخ.

2- البعد الغيبي: إن الغرب عاجز كما يرى سيد قطب، عن فهم الحياة الشرقية، وأعجز منه من فهم حياة المسلمين بصورة خاصة، مادام يلفت منه العنصر الغيبي، ذلك البعد الذي مازال يفتقده لاسيما في العصر الحاضر الذي تغلب عليه مختلف النظريات المادية والتجريبية[35]. وإن البعد القرآني يحتوي من جانب على تغطية أفقية للتاريخ البشري بحيث أنها تتمثل أساسا في القصص القرآني المتعلق بمحاولات الحوار بين السماء والأرض، ومن جانب آخر فإنه يشتمل على تغطية عمودية لكل واقعة تاريخية هامة على حدة. الأمر الذي يفسر تكرارها في النص القرآني. وإذ تتظافر المعطيات المستقبلية والوحدة المستمرة في المساحة والزمن، والتي تحكمها قوانين إلهية أي بالسنن بالتعبير القرآني الخاص، فذلك بعينه هو الذي يميز التفسير الإسلامي للتاريخ[36].

3- عناصر أخرى في التفسير الإسلامي للتاريخ: كي يتيسر لنا فهم هذا التفسير، يتعين علينا أن نقصي جانبا جل التصورات الجارية إلى حد الآن بشأن التاريخ، محلين محلها ما يلي:

أ- النظرة التفاؤلية.

ب- ضرورة انتصار قوى الحق والعدل والسلام على قوى الباطل والظلم والعدوان.

ج- الإيمان بغد أفضل تسود فيه القيم الإسلامية سيادة مطلقة، ويتحقق في ظله كملا قيام المدينة الفاضلة والمجتمع المثالي واقعيا.

إن هذه الفكرة المنبثقة أساسا من المفهومات القرانية[37] ترتكز بالدرجة الأولى على نظرة تفاؤلية للصيرورة الشاملة للنظام الطبيعي والمآل التاريخي. وأنها لتوطد الأمل في المستقبل بقدر ما تمحي معها الرؤى القاتمة المتشائمة بخصوص تطلعات الإنسانية وآمالها الذاتية.

د- شخصية المجتمع وطبيعته:إنه لا يمكن أن تكون للتاريخ فلسفة ولا قواعد ولا ضوابط عامة ولا يمكن أن يشكل موضوع تفكير ولا أساسا للبحث والذكرى والدرس ما دام المجتمع لا يملك شخصية مستقلة وطبيعية نوعية.ذلك أنه إذا قدر لهذا المجتمع أن يفقد هذه الشخصية المستقلة فإن التاريخ سيتحول إلى مجرد تعبير عن حياة كتلة من الأفراد خاليا في سرده من العبر دون عطائه التربوي والحضاري.

ي- المرتكزات القرآنية في فهم التاريخ:

1- يرفض القرآن كلية أن ينظر إلى التاريخ من زاوية سطحية تافهة، ويؤكد على وجود سنن[38] أو نواميس كونية ثابتة في تطور الأمم. أنها سنن لا تتبدل: "ولن تجد لسنة الله تبديلا"[39].ومع ذلك فهي تحفز ديناميكية المجموعات البشرية من أجل تفادي أخطاء الماضي.

2- إن كل ما يحصل للناس والمجتمعات جدير بأن يطلق عليه حقيقة وصدقا وصف "التاريخي" مادام يتعلق بهم من خلال أعمالهم وحركاتهم في كل لحظة

طوال بقائهم على وجه الأرض. كما أن كل ما يسمح بإقرار نظام اجتماعي جديد وقيام علاقات جديدة للقوى هو عمل تاريخي في الصميم.

3- ويلح المفهوم القرآني على ضرورة الوعي بالزمن الذي يجري من أجل التمكن من تصور الماضي وتحديد الحاضر، إنتاجا وكفاحا وتشييدا.

4- كما يحث على اعتماد التاريخ كمعرفة، لأن المجتمعات البدائية التي لم يظهر فيها تاريخ بأتم معنى الكلمة، كعلم للمعرفة، ظلت كما هو الملاحظ جامدة متحجرة توحي بأنها عديمة التاريخ أو أنها تعيش في منطقة "اللاشعور التاريخي".

5- إن إغفال السبب الحقيقي لظاهرة تاريخية يمنع المؤرخ ليس فقط من الفهم السليم، ولكنه يعزز بل ويدفع إلى إنشاء تصورات هووية وربما أدى إلى تخيلات غريبة أو مغرضة أنها تعيش في منطقة" لمرحلة تاريخية أو في حق شعب أو مجتمع ما. فهذا الدكتور محمد عمارة يتلكأ عن الفهم الصحيح عندما يحاول فصم العلاقة الحميمة بين الدين والسياسة في الإسلام، فيخرج علينا بتفسير ذاتي يتورع عنه بعض المستشرقين، حيث يصرح: "فلا الحرب التي سميت بحرب الردة كانت دينية، ولا حرب علي مع خصومه كانت دينية لأنها كانت حربا في سبيل (الأمر)، أي الخلافة والرئاسة والإمامة. وهذه سلطة ذات طبيعة سياسية ومدينة، ومن ثم كانت الحرب التي نشبت لأجلها، سياسية ومدنية هي الأخرى"[40]. وأغرب من هذا وأبعث على الشطط أنه بزعمه "كان إشتراط قرشية الخليفة تعبيرا عن موقف عربي (كذا) ضد عجمة الدولة ممثلة في رأس سلطتها وقائدها الأعلى"[41]. وأوغل منه في اللبس تجرؤ من قبيل إعتبار الخليفة الراشد عمر بن الخطاب العلماني الأول في الإسلام: "فقد كان رائد التمييز بين السياسة والدين، مع معارضة جمهور

الصحابة له، ولقد بني الدولة الإسلامية على هذا التمييز"[42].كما يتنكب الدكتور عبد المنعم ماجد عن الصواب في تفسير الدوافع الحقيقية.

للفتوحات الإسلامية التي أدركها بعض المستشرقين فيعترض عليهم بقوله: "لا نوافق بعض المستشرقين في قولهم: إن العرب كانوا مدفوعين نحو الفتح بالحماس الديني، فمن غير المعقول أن يخرج البدوي –وهو الذي لا يهتم بالدين– لينشر الإسلام...ولقد كان أيضا لعبادة التاريخ أو"لوثنة التاريخ"[43].المسلمون متوحشين بدرجة تثير الاشمئزاز لدرجة أنه في فتح الأندلس: "قيل أنهم طبخوا أول من قتلوه في القدور"[44]؟

6– إن الحتمية التاريخية التي تحيل الإنسان إلى العجز عن الفعل وتفضي بالمجتمع إلى الجمود والشلل لا يمكن أن تتلاءم وقابلية التغيير الإيجابي للإسلام، اللهم إلا إذا كان المقصود بالحتمية حتمية الأساليب، فإذا كانت السببية الطبيعية تقابلها سببية اجتماعية دون إحالة الإنسان إلى الدرجة الثانية في الاعتبار السببي الفاعل[45] فإنها بلا ريب حتمية مقبولة، إذ لا تخرج عن مجال السنن، ولأن الإنسان هو المحور المركزي في فلسفة التاريخ. وعليه فلا مجال

4– القيم الروحية والرؤية التركيبية: إن تفسير التاريخ الإنساني لينبثق من موقف موضوعي شامل يربط في انسجام سائر القيم التي يتكون من مجموعها التاريخ، سواء كانت روحية أم مادية، طبيعية أم فوق طبيعية.ومن البديهي أن تكون هذه الخصيصة الأكيدة من وحي النظرة الإسلامية التي لا تعتبر القيم الروحية مجرد إدعاءات تعبدية أو فردية،ولكنها تنظر إليها على أنها قيم ذات جذور، هي من العمق والرسوخ بحيث إن الرابط متين بينها وبين الواقع الإنساني المعيشي من

جهة،وبين الوجود الاجتماعي من جهة أخرى.وإن الرؤية التركيبية والمنهج الموضوعي والتحليل العميق المتحلي بالواقعية والدقة، كل ذلك يشكل المراصد الضرورية للتفسير السالم من التحوير والزيف الذي نجد نموذجه فيما يقدمه لنا القرآن بشأن التاريخ بإبعاده الثلاثة التي تلتقي عبر علم الله. وإن منهجا تكامليا هذا شأنه، يجعلها نلمس شبه تحد للتفسيرات الجزئية الأخرى القائمة على الفرضيات الموجهة أو ذات العامل الواحد والتي غالبا ما تعرضها النظريات التاريخية والتي مهما بلغ شأوها فهي لا تنفك قاصرة منقوصة لا تستوعب الحقيقة الكلية ولا التفسير الكامل.

ونخلص من هذا بأن التفسير القرآني حري به أن يتخذ مرجعا علميا لكل تصور منهجي يبحث بمعايير موضوعية عن معرفة حقيقية لا التواء فيها، للقوانين والسنن ولحقائق الكون والبشر لأسرار الوجود وعواقب الأشياء مما يهيئ لفهم أمثل وأشمل لسببية التاريخ.

5- المنظور القرآني للقصص التاريخي:إذا كان القرآن يعرض قصصه وصوره ورواياته التاريخية من خلال تصويره المتنوع للماضي، فمن المؤكد أنه لا يستجيب بذلك لمذاق أدبي ولا هو يغذي حاجة رومانسية في إتباعه.وأقل من ذلك أن يوفر لقرائه والناظرين في آياته ترفا ذهنيا[46].وإن العروض التاريخية في القرآن لا تقتصر على مجرد وصف الماضي، ذلك أنها تتعدي الإطار الفني "للقصص" أو "للرواية" لتضم إليها البعد التاريخي ليس بغرض البحث الأكاديمي ولا لمجرد السرد الفني، وإنما هي تستهدف أساسا أمرين من وراء ذلك:

أ-استخلاص العبرة[47] واستنتاج الدرس من تاريخ الشعوب والأمم والناس. فالإنسان وحده هو الذي يملك تاريخا لأنه هو وحده، بدلا من أن يندرج ببساطة في ظل الزمان والمكان ويذعن في غيرما مقاومة إلى استمرارية محتومة ليس من ورائها من مستقبل، تراه يشعر شعورا عميقا وواعيا بالزمن. وبهذا المنظور الحيوي الذي لا يتعامل مع التاريخ على نحو "ستاتيكي" لا يزيد على كونه خزينة للماضي بل على أتساس أنه شيء حي ينبض بالحركة، لا يسوق القرآن الكريم العبرة، وهي مستخلصة من سير الحوادث، ولا الموعظة، وهي مستقاة من روح الوقائع، لغرض سمعي يحكي أو كأقصوصة تنضاف إلى ركام معرفي أو إلى حشد من المعلومات التكديسية، إنما هو يستهدف من وراء ذلك، وبما تنطويان عليه من حقائق تقطر واقعية ومصداقية تاريخية لا يرقى إليهما أدنى شك، تحويلهما من الإنشاء الخبري إلى البناء العملي بحيث تستخدمان كأداة في إعادة بناء حياة الإنسان والمجتمع.

وبهذا يتأكد أن العبرة لا تساق في القرآن لذاتها ولا الموعظة تسرد لمجرد الوعظ، لأن ذلك من قبيل دراسة التاريخ للتاريخ وقصره على النقل الحوادثي مما يتنافى والتصور الإسلامي كما تقدم، وإنما تذكران لفورية العمل ومنهجية الحركة، ودليله في أي الذكر الحكيم: "ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم"[48].

وانطلاقا من قرآنية العبرة ومدى تاريخيتها كما تقرر، يبطل الزعم القائل بأن الغرض من قصص القرآن إنما جاء لبيان العظة وتغذية الحاجة الإنسانية الخالدة إلى العجائب[49].ويهتز الادعاء الباعث على وهمية القرآن وخلوه من الحقيقة التاريخية في مثل رد التنزيل: "هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق"[50]، وقوله تعالى: "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب، ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين

يديه"[51]، وقوله عزو جل: "نحن نقص عليك نبأهم بالحق"[52]، وقوله تعالى: "إن هذا لهو القصص الحق"[53].

ب- التوجيه السلمي لحركة الإنسان بحيث إن المتأمل في التاريخ ليحمل على النظر الموضوعي في مجراه وسير أحداثه وصلته بالمثل العليا والسنن التي يدعو إلى اكتناهها القرآن الكريم والتدبر بجدية مصيرية وعمق مسؤول سواء على صعيد الفرد أوالمجتمع في كل ما يسبب الدمار والتعاسة والتخلف والاستضعاف للشعوب والأمم وما يصرف عنه من عوامل البناء الحضاري والعمران البشري والهدفية الرسالية من الوجود ككل. وتجلي هذه المعاني مصطلحات السير في الأرض والنظر في العاقبة[54].

وإذا كان العرض القرآني يعمل من أجل توجيه حركة الإنسان دونما أكراه، لأنها تأخذ مبرراتها من كيانة النفسي الذي لا يبني الإسلام في إثراء حوافزه، فإن ذلك لا يقوم مرة أخرى، مقام مجرد السرد لأحداث الماضي، وإنما ينشد نوعية هذه الحركة بالذات وتبصيرها،والتي يمكن تسميتها بالتغيير باعتبارها أساسا وفي نفس الوقت موضوعا للثروات والتحولات للمجتمع الإسلامي خصوصا، وإنها لا تصدر هكذا هملا وإنما هي تجري وفق ضوابط وسنن.

6- سنن التاريخ وقوانينه:من المفيد أن نذكر أن دراسة حركة التاريخ الإنساني تحتل أهمية قصوى في القرآن، إلى حد أنه كان أول من طرح إشكالية السنن والنواميس باعتباره كتابا مقدسا، وأول من تعرض إلى القوانين التي تحكم سير التاريخ وحركته ونبه إليها. فهو يخبرنا بطريقة غير مسبوقة وعلى كل حال قبل الكشف الخلدوني، أن هذه السنن هي أبعد من أن تكون غير متناسقة لأنها تتطابق

مع القوانين التي تحكم البنية الإنسانية سيما أنها تصدر عن معطيات أساسية وثابتة: مثلا في عالم الفكر والأخلاق والمشاعر والفطرة...والقواعد المتعلقة بمختلف علاقات التفاعل في العالم الذي يتحرك فيه الإنسان.ثم إنه لمما يسترعي الانتباه أن جملة غزيرة من التمثيل الذي لا يخلو من البعدين التربوي والأخلاقي،مما اشتملت عليه آياته التي لا تلبث أن تنقلب إلى براهين مادية ووثائقية للتاريخ، تساعد على التنبؤ مسبقا وبيقين شبه رياضي، بالعواقب الحتمية لسلسلة من الوقائع التاريخية الاجتماعية المعينة.

7- اعتبارات منهجية: أ- يتعين في الظرف الحالي الحاسم بالنسبة إلى نهضة العالم الإسلامي أن ينكب ذوو الاختصاص بكل جدية، على إعادة كتابة التاريخ الإسلامي كتابة إسلامية حذرة وحقيقية على أسس جديدة،وطبقا لمنهجية أكثر التزاما بالموضوعية التي تحول دون تحريف الحدث التاريخي بنحو من الأنحاء، وتخلصه من رواسب الاسترقاق وشوائب الاستعمار.أما عن المصادر المكتوبة لهذا التاريخ فيمكن العثور عليها اليوم في رأينا في شكلين أساسيين:

أولا:في المصادر العربية والإسلامية الأولى،والآثار الإسلامية التي تعتبر أساسية في دراسة التاريخ السياسي والعمراني والاقتصادي والاجتماعي للإسلام، بالإضافة إلى الإنتاج الأدبي...حيث ظهر الشعر الحزبي نتيجة للسياسة الحزبية للدولة الأموية...كما ظهر الشعر الوصفي الذي يصف الآثار والمنشات العامة[55]. وواضح أنه لا يخدم عملية التاريخ إدراج الأقاصيص والحكايات وما رادف الميثولوجيا.

ثانيا:في المراجع الغربية وأعمال المستشرقين بعد الحصحصة العلمية والتنقية المنهجية، ويذهب سيد قطب إلى الاعتراف بالجهد الذي بذلته هذه المدرسة، في جمع النصوص وتحليل الوقائع والنقد الداخلي والخارجي[56]. طبعا دون الوثوق مع ذلك دائما في تفسيراتهم أو الاطمئنان إلى تأويلاتهم لأن هذا الاستبطان وهذا الإدراك لكنه الحوادث التاريخية هما اللذان يعوزهما البعد الآخر عندهم، وقد كنا أومأنا إليه أنفا وقررنا استعصاءه على الغربيين لدى دراستهم للإسلام عموما.

ب- ومن جهة أخرى ينبغي التأكيد على الأهمية البالغة والصفة العاجلة بالنسبة للمسلمين، في أن يبادروا هم أنفسهم بكتابة وتفسير الأحداث التي تتلاحق وتتزاحم في واقع ملتهب وذلك بهدف رسم منعطف جديد في تاريخهم ومن ثم تقويم المنحى التاريخي للإنسانية، وذلك بتمكينها من أن تكتشف بصدق متزايد أفاقا جديدة للسعادة والسلم والازدهار الحضاري.

ج- وأساسي أن نميز بواسطة قطيعة أو فصم إبستمولوجي بين ركائز التصورات الإسلامية وبين أشكال تمثلها وتطبيقها من خلال مختلف ضروب الواقع التاريخي، التي عافتها شتى الأجيال الإسلامية.

د- من أجل الحفاظ على الإنصاف والانسجام في البحث العلمي يجب أن نهتم بفهم المعطيات الإسلامية للتاريخ من خلال استغلال قرآني مناسب دون التواء.

ي-إن عطاء علوم الحديث وفضلها في المجال المنهجي أمر لا يمكن نكرانه بالنسبة إلى البحث العلمي وكذا مساهمتها في تكوين الروح النقدية في دراسة التاريخ.فضلا عن أنها سابقة على المنهج الخلدوني بالرغم من أن المؤسس الشرعي

لعلم الاجتماع قد يزعم الريادة في تدشينه عبر المقدمة.وهذا لا نخاله يقلل في شيء، لا الدور ولا الأهمية اللذين يتمتع بهما العلامة عبد الرحمن بن خلدون،وإنما كل حرصنا في إعادة ترتيب استحقاقه بالنسبة إلى مدرسة كاملة من المفسرين والمحدثين والرواة الذين تحولوا إلى مؤرخين كالطبري في "تاريخه"، وابن سعد في "طبقاته"، والبلاذري في "فتوحاته"، والبيهقي في "صحيحه"...[57]. وإنه ليدان لهم. بمعالم هذا المنهج العلمي الجديد وبالنقد والمقارنة وغير ذلك مما عملت فيما بعد من أجل تنميتها وبلورتها بشكل أوسع وبموضوعية أكثر، مقدمة ابن خلدون.

هـ- إن التكوين المزدوج لدى المؤرخين المسلمين لذو فائدة تأكد بالأخص في البحث في العلوم الإنسانية عامة والتاريخ خاصة، لا سيما أن هذه الخصيصة – المتمثلة في الإحاطة بالعلوم الشرعية- ذات علاقة بأخلاقية معينة تؤهل وتنم كثيرا عن شخصية الباحث وربما دلت أيضا على منهاجه ابتداء.

وفي الخلاصة فإن المقاربة المادية كما تتجلى بشتى تفرعاتها المذهبية وامتداداتها النظرية، تعتبر عصارة الفكر العربي وسمه المنهجية المستمدة من خصائصه الهلينية، وهي بهذه الصفة ثمرة تاريخية للفلسفة الإغريقية اللاتينية ونتيجة للتجربة اليهودية المسيحية.وإذ تجسد الصراع بين العقل والروح والجسد، والنفرة بين الواقع والمثل، والتجافي بين الأرض والسماء، منتهجة في تفسيراتها الملتوية الاتجاه الوصفي والتكميمي بحيث لا تدرك الحكمة في الأشياء وتنفي الواقع غير المحسوس، وتستعبد الغائبات وتحيون مفهوم الإنسان، ويرادف الدين في منظورها الخديعة والأفيون والاختلاق، وتفرد العامل الاقتصادي بالأولوية وتؤله المجتمع وتوثنن التاريخ، ولا تكترث للقيم والأخلاق مقابل الاهتمام بالعقد و "الليبدو" واللاوعي وتجنح إلى

التعميم توصلا إلى المجانسات ضربا للأصالة والخصوصيات فإنها بهذه المناهج وبمحاولات تلفيقية لتحليل الإسلام وتفسيره: دينا وشريعة وواقعا وحضارة لتقع في شبكة عريضة من الأخطاء الجذرية الجسيمة والخلط الفادح المتداخل كما تبين لنا من جراء النزعة الإسقاطية والإنشاد إلى الخلفيات والأفكار المسبقة.

وبذلك كله أو بعضه تتراكم العوائق الذاتية والثقافية النفسية إلى جانب المرامي الإيديولوجية فتنخرم ابتداء المعايير العلمية وتتثلم الموضوعية وتتعتم الرؤية الصحيحة وتكون النتيجة في النهاية حصيلة تكهنات بدائية مغلوطة وإفرازات تنظيرية عليها مسوح العلم وما هي بالعلم وتحتفُها تعثرات معرفية عليها وشاح الأكاديمية، والأكاديمية منها براء يتأرجح متبنوها من الباحثين ومنتهجوها من المستشرقين في ضائقة شديدة ولا مناص: بين قصور في الفهم وإرادة اللافهم.

فالإسلام في مخبر المقاربة المادية مزيج تاريخي فلسفي متناقض وتركيب إيديولوجي متنافر ومع ذلك فهو يعكس كل الألوان وينصهر في كل القوالب وعرضه للتجريب والتنظير ناهيك عما تفعل به السياسات الراهنة محليا ودوليا وما يكيد له التخطيط الإمبريالي والإعلام الصهيوني المضاد...وإن مقاربة هذا منحاها لخليق بالعلم أن يرفضها وحقيق على العلماء أن يكونوا بمنأى عنها صونا لعلمية البحوث وغائيتها الشريفة وموضوعية النتائج وواقعيتها. وإلا فقلب الحائق بذريعة العلم وطمس الواقع بغطاء المنهجية المعكوسة لكفيل أحدهما أو كلاهما أن يفضي بهذه المادية التي تنطوي على المتناقضات وفي نفس الوقت تبحث عنها إلى أن تصطبغ حتما في مقرراتها بالتناقضية.وعلى غرار شناعاتها فيما توصلت إليه بصدد الإسلام فإنها سوف تخلص فيما إذا طبقت مثل هذه المناهج محفوفة بما ورائياتها على

[58]أديان الغرب تياراتها الفلسفية والإيديولوجية إلى مقررات مقلوبة مستغربة كالقول مثلا بروحنة[59] اليهودية أو مادية المسيحية أو دينونة[60] الماركسية أو خلقنة[60] الوجودية أو تصوف الفرويدية أو أنسنة[62] الداروينية وما إلى ذلك من التشويهات الصارخة.

الهوامش

[1] محمد أسد:الطريق إلى مكة.ترجمة عمر فروخ. دار العلم للملايين.بيروت. د. ت. ص17.

[2] Karl Marx, Selected Works. Vol. I. (Fl. Ph). n. d. p1

[3] محمد قطب.الإنسان بين المادية والإسلام. ط4.دار أحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاؤه. دمشق. 1965. ص 67.

[4] هود: 88.

[5] الأعراف: 182.

[6] الحج: 65.

[7] سبأ: 10.

[8] النحل: 12.

[9] د. عماد الدين خليل:التفسير الإسلامي للتاريخ. ط2. دار العلم للملايين. بيروت. فبراير 1978. ص 162-163.

[10] Alain Touraine : Production de la société. Le seuil. Paris, 1973. p 26.

[11] Ibid

[12] محمد أركون:التاريخ والتاريخانية.ملتقى الفكر الإسلامي. عنابة.10-19. جويلية 1976. ص 5.

[13] المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

[14] المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

[15] M.Salhi : Décoloniser l'histoire. Maspéro. Paris. 1965. وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى المحاولة الهامة التي خصصها محمد صالحي "من أجل تحرير التاريخ من الاستعمار" من بين أعمال أخرى حديثة.

[16] أنور الجندي:"المستشرقون والإسلام".مجلة البعث الإسلامي.المجلد 27. العدد 1 و2. إصدار ندوة العلماء، لكهنو (الهند)، رمضان –شوال 1402هـ. ص 102.

[17]أنظر كارل بروكلمان:تاريخ الشعوب الإسلامية.تعريب نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي. ط4. دار العلم للملايين. بيروت. 1965. ص 215–218.

[18] د.عبد الحليم عويس.مجلة المسلم المعاصر.السنة 12.العدد 47. بيروت. رمضان 1406. ص 54.

[19] تنور الجندي: مجلة البعث الإسلامي. ص 103.

[20] أنور الجندي:تصحيح اكبر خطإ في تاريخ الإسلام الحديث.دار الاعتصام. القاهرة. د. ت. ص 6–7.

[21] المرجع السابق. ص 30.

[22] مجلة المسلم المعاصر المذكورة. ص 55–56.

[23] إسماعيل الكيلاني:"التاريخ وصناعة المستقبل".مجلة الأمة.السنة السادسة. العدد 69. قطر. رمضان 1406هـ. ص35.

[24] محمد أسد:الإسلام على مفترق الطرق.ترجمة عمر فروخ.دار العلم للملايين. بيروت. د.ت. ص 60–61.

[25] د. عبد الحليم عويس: "الغزو الثقافي في المجال التاريخي". مجلة المسلم المعاصر. عدد 47. ص 52.

[26] د.عماد الدين خليل:مع القرآن في عالمه الرحب.ط2.دار العلم للملايين. بيروت. 1980. ص 151-152.

[27] المرجع الأسبق. ص 63.

[28] المرجع الأسبق. ص 54.

[29] E. Dient : Lorient Vu de L'Occident. H. Piazza et p, Geuthner. Paris. S.d. pp. 95-96.

[30] د. عماد الدين خليل: مع القرآن في عالمه الرحب. ص 154.

[31] د. عبد الرحمن علي الحجي:نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي. ط3. مكتبة الصحوة. بيروت. 1979. ص 20.

[32] المرجع نفسه. ص 13.

[33] د. كمال محمد سوقي:فقه الاجتماع الشرعي. مجلة منار الاسلام أبو ظبي. العدد 6. السنة 15. يناير 1990. ص 38.

[34] د. عماد الدين خليل:التفسير الإسلامي للتاريخ. ص 14.

[35] سيد قطب:في التاريخ.فكرة ومنهاج.ط2.دار الشروق.بيروت. 1978. ص38.

[36] أما عن الاكتشاف المنسوب إلى رواد التاريخ الكبار فإنه يعد متأخرا عن الإسلام وتاليا له فيما إذا صح وتقننت علميته.

[37] مفهومات تؤكد على ضرورة انتصار رسالة الوحي وفوز الصالحين والأتقياء إلى جانب ضرورة خيبة قوى الظلم والجور وأيضا ضرورة انتظار الفرج.

[38] "**فهل ينظرون إلا سنة الأولين. فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا**"، فاطر: 43. كذلك: "قد خلت من قبلكم سنن..."، آل عمران: 137.

[39] الفتح: 23.

[40] د.محمد عمارة:المعتزلة وأصول الحكم.سلسلة الهلال.العدد400.القاهرة. 1984. ص 384.

[41] د. محمد عمارة: ص 23.

[42] جمال سلطان: غزو من الداخل. ص 23.

[43] Historiolatrie ou réification de l'histoire.

[44] د. عبد المنعم ماجد:التاريخ السياسي للدولة العربية.نقلا عن المرجع السابق. ص 21.

[45] فهو لا يستحيل إلى مجرد كائن حي، إذ هو بميزة "التكريم" خليفة الله في أرضه تناط به أمانة التكليف: دعوة وتطبيقا ودفاعا. وهو مسؤول لكونه مخيرا بحكم خضوعه الإداري الواعي لله. والتاريخ إنما هو حصيلة عمله وهو سيده الفاعل المتصرف.

[46] "لو أردنا أن نتخذ لهموا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين..."، الأنبياء: 17.

[47] أي العبور من القصة إلى مغزاها وتجاوز سطور التاريخ لاستشفاف ما وراء هذه السطور.وتعني كذلك العبور من الماضي السحيق إلى الحاضر القائم، من الحياة التي مضت، إلى الواقع الذي نعيش. أنظر: محمد رضا:كيف نفهم القرآن.ص 209.

[48] النساء: 4.

[49] J. B. Villars : l'Islam d'hier et de toujours, p 20.

[50] الجاثية: 29.

[51] يوسف: 3.

[52] الكهف: 2.

[53] آل عمران: 62.

[54] "**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين**"،النمل: 69. "**فانظر كيف كان عاقبة الظالمين**"، يونس: 39.وتارة "**عاقبة المفسدين**"، وتارة أخرى "**عاقبة المكذبين**" الخ...

[55] د. عبد العزيز سالم:مصادر التاريخ الإسلامي.مجلة منار الإسلام.العدد 6. السنة 15. ص 44.

[56] سيد قطب:في التاريخ: فكرة ومنهاج. مرجع سابق. ص 42-43.

[57] ويؤيد هذا ما ذهب إليه د. عبد الواحد وافي بقوله: "صحيح أن ابن خلدون ليس أول من إبتداع هذه الطريقة، فقد سبقه إليها منذ القرنين الثالث والرابع عدد غير يسير من المؤرخين كالواقدي والبلاذري وابن الحكم المصري والمسعودي. ولكن ابن خلدون يمتاز عن أسلافه ممن سلكوا هذا المنهج في التأليف التاريخي ببراعة التنظيم والربط وحسن السبك. كما يمتاز عنهم بالوضوح والدقة في تبويب الموضوعات والفهارس"، أنظر: عبقريات ابن خلدون. ص 111. وفي ص 12 يورد قول المؤرخ الانجليزي "روبرت فيلنت":"إذا نظرنا إلى ابن خلدون كمؤرخ وجدنا من يتفوق عليه من كتاب العرب أنفسهم. وأما كواضع لنظريات في التاريخ فإنه منقطع النظير في كل زمان ومكان".

[58] Spiritualisation du Judaisme ?

[59] Religiosité du marxisme ?

[60] Moralisation de l'existentialisme ?

[61] Humanisation ou hominisation du darwinisme ?

[62]